نظرية الاعتماد الضروري

دكتور

محمـد توفيـق الضـــوي

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

نظرية الاعتماد الضروري

Supervenience

١ – هي نظرية حالية كانت بدايتها الفلسفية في السبعينيات من القرن العشرين وقصد بها قيام علاقة ربط اعتمادية[١] Supervenience بين نوعين من الصفات أو الوقائع بحيث يعتمد أحد الأنواع على الآخر لزومًا ، ويتم ذلك عن طريق تحديد الأسلوب الذي تتواجد به صفة أو واقعة بناء على قوام ووجود صفة أخرى أساسية. وهذا يعني أن الموجود الذي له خاصية أولية إنما يُعد بناء قاعديًا لما يلحق به أو يُنشأ اعتمادًا عليه إذ يمثل الثبات القاعدي دليلاً كافيًا على نشأة سمات تابعة متنوعة ، فاللحن الموسيقي Melody يعتمد على العلاقات المكتوبة في النوتة ، والاستعدادات dispositions تعتمد على تركيبها الفيزيقي. وتتعاظم أهمية الاعتماد حتى أن أي اختلاف أو تغير يحدث في الصفات الأساسية يستتبعه بالضرورة تغير يحدث في الصفات اللاحقة[٢].

---

(١) سوف نقوم بترجمة المصطلح الإنجليزي Supervenience بلفظ الاعتماد الضروري وذلك لكي يكون ثمة تمييز بينه وبين اللفظ dependence بمعنى اعتماد ، وحجتنا أن العلاقة المتضمنة في اللفظ الأول تعني اللزوم الضروري الذي يلحق بصفة أو حادثة أو واقعة نتيجة اعتماد الصفة اللاحقة على الأولى لزومًا. وقد أكدت معظم المعاجم الفلسفية على أن اللفظ الإنجليزي Supervenience تعني علاقة اعتماد قوية ، انظر في ذلك :

- Jeagwon Kim and Ernest Sosa (ed.) : A Companion to Metaphysics, Blackwell Reference, U.K., 1995.
- Thomas Mastner (ed) : Dictionary of Philosophy, Blackwell Reference, U.K., 1996.
- Robert Audi (ed) : The Cambridge Dictionary of Philosophy, Cambridge, U.k., 1997.
- Jonathan Dancy and Ernest Sosa (ed) : A Companion to Epistemology, Blackwell Reference, U.K., 1998.
- Edward Carig (ed) : Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London, 1998.

(٢) Simon Blackburn: "Supervenience" an essay in Rutledge Encyclopedia of Philosophy, ed. by Edward Craig, London, 1998, vol. 9. P. 235.

٢ – نتوجه الحين إلى عرض التطور التاريخي للمصطلح ، فقد بين معجم أكسفورد[٣] أول استخدام للكلمة في الصفة Supervenient بمعنى تابع أو لاحق ، وكان ذلك في عام ١٥٩٤. ولكن منذ عامي ١٦٤٧ و ١٦٤٨ ورد استخدام الفعل Supervene ، أما بالنسبة للاسم Supervenience فقد ظهر منذ عام ١٦٦٤. ويذكر المعجم أن استخدام الفعل ومشتقاته مطبقًا بدون استثناء في هذه الآونة على الأحداث العينية والوقائع الحسية وقُصد به ما يوجد مصادفة Coming Upon بمعنى وقوع حدث إضافي على نحو عرضي Extraneous أو وقوعه بشكل غير متوقع Unexpected ، أو يأتي ويرحل سريعًا في لحظة قصيرة مثل الجملة "فجأة وقع (أو حدث) موت الملك" Upon a sudden supervened the death of the king ، وكان هذا الاستخدام في عام ١٨٤٩. بعد ذلك صار الاستخدام الشائع للفظ مرتبطًا بالزمن في القول «الحدث اللاحق Supervenient event يقع بعد حدث يسبقه أو يكون السابق سببًا له[٤]. ومن الواضح أن هذا الاستخدام القديم لم يكن شائعًا في نطاق البحث الفلسفي ، ولكن ظهر في القرن العشرين استخدامه بمعنى يعتمد – كما سبق بيانه – وبدأ ذلك عند الفيلسوف الإنجليزي جورج مور[٥]. في نظريته الأخلاقية.

يرى مور أن القيمة الأخلاقية تعتمد على صفات الموقف الأخلاقي ذاته حيث تسمى هذه الصفات بـ (طبيعته الجوهرية Intrinsic nature) ، وتعتبر هذه الطبيعة لصيقة بالموقف إذ لا يُسمح لتأويلات أخرى أن تؤوله كموقف آخر لا يرتبط بالأخلاق. وطالما أن الموقف الأخلاقي له طبيعة جوهرية ؛ إذن له أيضًا قيمة جوهرية Intrinsic Value ، وبناء على هذا تعتمد القيمة الأخلاقية –

---

(٣) O. E. D = Oxford English Dictionary

(٤) J. Kim : Supervenience as a Philosopical Concept, an essay in Metaphysics An Anthology , ed. by J. Kim and Ernest Sosa, Blackwell, 2000, p. 540.

(٥) جورج إدوارد مور G. E. Moore (١٨٧٣ – ١٩٥٨) فيلسوف إنجليزي تخرج في جامعة كامبردج وعمل بها في كلية ترينتي Trinity College منذ عام ١٩٢٥ – ١٩٣٩ ، ويعتبر مور أحد أعمدة فلسفة الحس المشترك Common Sense ، كما اشتهر بموقفه الرافضي للمثالية وقيامه بوضع نظرية في الأخلاق.
أهم أعماله :

- Philosophical Studies, 1922.
- Some main Problems of Philosophy, 1953.

للشيء أو للموقف – على الطبيعة الجوهرية لكل منهما. نستنتج مما سبق أن مور استخدم اللفظ الإنجليزي "Supervenience" بمعنى علاقة اعتماد dipondence تقوم بين القيمة الجوهرية وبين الطبيعة الجوهرية ، فالأشياء التي لها نفس الطبيعة الجوهرية لها نفس القيمة الجوهرية(٦).

لم يكن مور الوحيد الذي استخدم اللفظ "Supervenience" بمعنى علاقة اعتماد ولكن كان استخدامه أيضًا بهذا المعنى عند الفيلسوف ريتشارد هير(٧) ، فتحدد بذلك التداول الفلسفي المتعارف عليه في الوقت الحالي.

يقرر هير أن المحمولات الأخلاقية ethical predicates كالخير والشر والصواب والخطأ تعتبر محمولات اعتمادية ، حيث تعتمد بشكل أساسي على صفات أخرى قد لا تكون هي نفسها صفات أخلاقية ، فالصفة «خير» في القول «هذا الرجل خيّر» تتوافق مع السلوك الذي يدل عليه ، كذلك الأشخاص المختلفون في طبائعهم يتبعهم اختلاف في خيرية كل منهم.

٣ – امتد لفظ الاعتماد Supervenience – بعد الأخلاق – إلى الأنطولوجيا والإبستمولوجيا واللغة ، ثم توجه أخيرًا ليشكل نظرية رئيسة من نظريات فلسفة العقل. وقد ظهر استخدام اللفظ عند الفيلسوف دونالد ديفدسون(٨) فكتب يقول «على الرغم من أن الموقف الذي وصفته برفض وجود أي قوانين

---

(٦) G. Moore : The Conception of Intrinsic Value in his "Philosophical Studies, London, 1922, p. 286.

(٧) ريتشارد م. هير Richard M. Hare (١٩١٩ – ٢٠٠٢) فيلسوف بريطاني معاصر كان مهتمًا بالفلسفة الخلقية فوضع نظريات في تحديد معنى القيمة والأخلاق وكذلك الألفاظ المستخدمة مثل الخير والواجب ، كما قدم تطبيقًا للمبادئ النظرية للأخلاق لتكون مبادئ عملية في مجالي البيئة والتعليم. عمل أستاذًا للفلسفة الأخلاقية في جامعة أكسفورد من عام ١٩٦٦ حتى ١٩٨٣. أشهر مؤلفاته :

- The Language of Morals, 1952.
- Freedom and Reason, 1963.
- Moral Thinking, 1471.
- Essays on Political Morality, 1989.

(٨) دونالد ديفدسون Donald Davidson (١٩١٧ –) فيلسوف أمريكي معاصر اهتم بفلسفة اللغة وفلسفة العقل. من أشهر أعماله.

- Essays on Actions and Events, 1480.

سـيكوفيزيقية إلا أنـه يتوافـق مـع فكـرة أن الـسمات العقليـة mental characteristics تعتمد depetent أو تعتمد بالضرورة Supervenient على السمات الفيزيقية physical characteristics ، ويعني الاعتماد أنه لا يمكن وقوع تغير في الجوانب العقلية دون أن يسبقها تغير في الجوانب الفيزيقية ، وهذا النوع لا يستلزم جانب الرد "reducibility"[٩]. وهذا يعني على سبيل المثال أن الصفات العقلية تعتمد على الصفات البيولوجية العصبية ، كما تعتمد الصفات الفسيولوجية على العمليات الكيميائية. وبناء على هذا كان الترابط وثيق بين نظرية العلية وبين الفيزياء ، حيث يصبح مؤكدًا تفسير العمليات العقلية في حدود الأحداث الفيزيقية.

٤ – تطورت فكرة الاعتماد لتصير نظرية هامة لتفسير العلاقة بين العقل والجسد ، وتم توطيد أركانها عند الفيلسوف جاجون كيم[١٠] الذي يعتبر من أشهر دعاتها تطويرًا وتطبيقًا وهذا ما يدفعنا إلى قصر الدراسة الحالية عليه.

يرى كيم أن فكرة الاعتماد الضروري تعد وجهًا من وجوه ترابط أجزاء العالم واتساق موضوعاته وأحداثه ووقائعه ، وهذا كله يمثل بناءً شاملاً تتآلف أعضاؤه مع بعضها البعض بأسلوب بالغ الدقة والروعة[١١]. وبرغم تآلف هذا البناء وترابط أجزاؤه إلا أن الاختلاف والتنوع والتغير تمثل عناصر أساسية تدخل في تركيب موضوعاته، ونتيجة لهذا تقوم نظرية الاعتماد الضروري بالاضطلاع بوضع تصور مميز لطبيعة العلاقة بين العقل والجسد لرأب الصدع بينهما ، فتتحدد المهمة والحل في القضية «أن ما هو عقلي يعتمد بالضرورة على ما هو فيزيقي

---

(٩) D. Davidson : Mental States , an essay in "The Nature of Mind" ed. by David M. Rosenthal, New York, Oxford University Press, 1991, p. 250.

(١٠) جاجون كيم Jaegwan Kim (١٩٣٤ –) فيلسوف إنجليزي حالٍ له دراساته في الميتافيزيقا والمعرفة ، اشتهر بنظرية الاعتماد الضروري في فلسفة العقل ، يعمل حاليًا في جامعة براون Brown University ويقوم بتدريس الفلسفة. من أهم مؤلفاته ما يلي :
- Events and Property Exemplifications , 1976.
- Supervenience and Mind, 1993.
- Philosophy of Mind, 1996.
- Mind and Physical World, 1998.

(١١) Jaegwon Kim : Supervenience and Mind, Cambridge University Press, 1993, p. 53

ويتحدد به سواء كان الفيزيقي قائمًا في ما هو ليس عقليًا كالجسد أو يخص أجزاء العالم المادية[١٢]. وهذا يؤكد على أهمية بل وأولوية الجانب الفيزيقي وقوانينه. بيد أن الأولوية الفيزيقية لا تعني التوجه إلى مذهب الرد reductionism إذ تنكر نظرية الاعتماد الضروري رد العقلي إلى الفيزيقي وذلك لإعطاء الأهمية الوجودية للعقل بوصفه كيانًا مستقلاً متميزًا. وبناء على هذا تتحدد أسس فيزيقية للصفات العقلية المعتمدة حيث تعمل هذه الأسس على دوام عملية التحقيق المستمر لتلك الصفات العقلية. وبذلك تقدم النظرية بيانًا لنموذجين متقابلين : الأول هو نموذج الصفات الأساسية basic properties ، والثاني نموذج الصفات المعتمدة Supervenient properties. وتتحدد الصفات الأساسية بكونها صفات فيزيقية. لكن لا تعني الأولية الفيزيقية الأسسية تفردًا بوجود مطلق يلغي وجود أي حالات غير فيزيقية معها ، بل تعني أن ثمة وجودًا مؤسسًا للحالات غير الفيزيقية في طبيعة الوجود الحيوي. إلا أن هذا الوجود تتقوم أسسه اعتمادًا على وجود أوّلي آخر من طبيعته الجوهرية أن يكون فيزيقيًا يعلن أن الحالات العقلية معتمدة بالضرورة على الحالات الفيزيقية. ويؤكد هذا الرأي على جانب هام هو احتفاظ الحالات العقلية بطبيعتها العقلية.

٥ – يقرر كيم أن نظرية الاعتماد الضروري ترتبط بعدة مقولات هي العلية Causation والتحديد Determination وعلاقة الكل بالجزء The Part-whole relation.

(٥ – ١) العلية : يبين كيم أهمية العلية حين أعلن تسميتها باسم اللاصق الكوني Cement of the universe الذي تتقوم مهمته في ربط الموضوعات المباشرة والأحداث خالقًا المعنى والدلالة على نحو تبادلي حيث يتحدد وجودهما ليقوم بين الأسباب والنتائج ، فالعلل تحدد معولاتها ، وبالتالي تعتمد المعلولات عليها في قوامة الوجود وتأكيد الصفات[١٣]. وبذلك تشكل العلية جانبًا مكملاً

---

(١٢) Jaegwon Kim: Supervenience, an essay in "A Companion to the Philosophy of Mind, ed by Samuel Guttenplan, Blackwell, U.K., 2000, p. 575

(١٣) Kim : Supervenience and Mind, p. 53.

لحياتنا اليومية يعمل على وضع تفسيرات دقيقة للظواهر الطبيعية وأساليب اللغة وكافة مناحي الحياة(١٤).

ترتبط العلية بوثاق مع نظرية الاعتماد الضرورية بناءً على العلاقة المعهودة التي تقرر أن العقلي يعتمد على الفيزيقي وبذلك تتواجد أمامنا علاقة جديدة تسمى العلية الاعتمادية Supervenient Causation . والأولوية العلية منسوبة هنا إلى السبب الفيزيقي ويظهر التحقيق العلّي عن طريق محققات فيزيقية Physical realizers فإذا افترضنا وجود حالة عقلية مثل الإحساس بالألم ناتجة عن حدث بيولوجي كانقباض في جدار المعدة ، فإن سبب هذا الانقباض الأساسي ليس إلا عملية فيزيقية تتمثل في إفراز سوائل معينة أو إنزيمات ، وبناء على هذا نستنتج أن العلية هنا هي علية فيزيقية .... لكن هل هنالك علية عقلية؟

يرى كيم أنه يوجد ذلك النوع من العلية التي تسمى (علية عقلية) ويضع بشأن ذلك السؤال الآتي : هل العلية العقلية قائمة بذاتها أم منسوبة إلى حالة فيزيقية أو حدث فيزيقي؟

يجيب كيم بأن العلية العقلية موجودة بالفعل ولكن تندرج تحت نوع مميز يُطلق عليه مصطلح العلية الاعتمادية Supervenient Causation لكونها تعتمد على محقق فيزيقي. كذلك ربط كيم بين العلية العقلية وبين نظرية الظاهرة العارضة epophenominalism(١٥) فيقرر أن العلاقة العلية العقلية التي تحدث بين وقائع تجريبية عيانية هي حالات علية عارضة ، فإذا افترضنا وجود أحداث أو حالات عقلية تسبب أحداثًا فيزيقية مثل ألم حاد في إبهام اليد بسبب سحب اليد برعشة. نجد هنا أن الحدث العقلي المتمثل في الإحساس بالألم قد اثر على العضلات في ذراعي. لكن هذا الحدث العقلي هو في حقيقة أمره مجرد ظاهرة عارضة لأن العمليات العلية الفيزيقية هي الأساس الذي تعتمد عليه الأحداث

---

(١٤) Kim : Supervenience as a philosophical Concept, p. 554.

(١٥) هي نظرية قامت لتفسير العلاقة بين العقل والجسد وتقرر أن ثمة تأثير علّي بين الحالات العقلية والحالات الجسدية ، ولكن يتم التأثير من جانب واحد فقط حيث يؤثر الجسد بتغيراته الفسيولوجية على الحالات العقلية وليس للحالات العقلية قدرة على التأثير العلّي، انظر في ذلك : د/ محمود زيدان : في النفس والجسد ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٧٧، ص ١٨٩.

العقلية ، فإذا كان الجرح يسبب إحساسًا بالألم ، فإن هذا الألم يعتمد على حالة مخية brain state ، أي حالة فسيولوجية مادية ، أو حالة فيزيقية(١٦).

ناقش برود أيضًا نظرية الظواهر العارضة وعلاقتها بالعلية وبين مدى ارتكاز الجانب العقلي على الجانب الفيزيقي المتمثل – كما يرى – فيما هو فسيولوجي فقرر أن الأحداث التي لديها سمات فسيولوجية لديها أيضًا سمات عقلية ، كذلك لا يوجد حدث يفتقر إلى السمات الفسيولوجية ويمتلك سمات عقلية، بل إن هناك أحداثًا فسيولوجية لا يُعرف ما إن كان لها سمات عقلية أم لا. هذا يعني أن الحدث ذو السمات العقلية لا يستوجب حدثًا آخر له سمات عقلية أو يعتمد عليه بل يستوجب أحداثًا ذات سمات فسيولوجية. هذا من جانب ، ومن جانب آخر يقرر برود أن نظرية الظواهر العارضة تبين أنه لا يوجد حدث لديه كل من السمات العقلية والسمات الفسيولوجية لكن السبب الكافي لحدث لديه سمات عقلية هو حدث أو مجموعة أحداث لديها خصائص أو سمات فسيولوجية، فلا يوجد حدث له سمات عقلية يكون عاملاً مؤثرًا في وجود علية لحدث آخر سواء كان هذا الحدث عقلي أو فسيولوجي(١٧).

يرى كيم أن برود اعتقد أن الظواهر العارضة تشكل الخصائص العقلية شاملة الحالات القصدية مثل الاعتقاد والرغبة والحالات الشعورية بوصفها حالات ظاهرية (فينومنولوجية) ، حيث يتضح أن الظواهر العقلية ترتكز على الظواهر الفيزيقية. وبالرغم من هذا الاعتماد فهل هو أمر ضروري بالفعل أم غير ضروري؟ ولكن هذا التساؤل يسلمنا إلى الفرض التالي :

(إننا لا يمكن الاستغناء عن الظواهر العقلية وهذا يعني أن لهذه الظواهر جوهرية ، لكن هل هي جوهرية رئيسة تتساوى مع جوهرية الظواهر الفيزيقية؟

---

(١٦) Kim: Epiphenomenal and Supervenient Causation, an essay in "The Nature of Mind, p. 263.

(١٧) C.D. Broad : The Mind and its place in the Nature, Kegan Paul, London , 1937, p. 472.

يقرر كيم أن المهمة الدقيقة التي ينبغي القيام بها هي إيجاد ما يمنح الجانب العقلي دورًا عليًا جوهريًا كافيًا من شأنه أن يجعلنا نتجنب تناقض نظرية الظواهر العارضة بدون أن يدني من أهمية الأنساق العلية الفيزيقية[١٨].

وبناء على هذا يتوصل كيم إلى وجود ظواهر علية عقلية ولكنها تجمع بين جانبين هما كونها ظواهر اعتمادية وكونها ظواهر عارضة ، وبذلك يصبح الحدث العقلي حدثًا ذا علاقة اعتمادية ضرورية عارضة ؛ لأنه يعتمد في الأساس على حدث فيزيقي ، وبالتالي فإذا حدثت علية عقلية فإنها تحدث فقط من حيث كونها علية عارضة epiphenomenal causation على أساس أن هذه العلاقة العلية يمكن تفسيرها في حدود العمليات العلية الفيزيقية[١٩]. فإذا سبب الحدث العقلي حدثًا سيكولوجيًا. فذلك لأن الحدث العقلي يعتمد على حدث فيزيقي، فمثلاً لو فرضنا أن الحدث العقلي هو «الإحساس بالألم» نتيجة احتراق طفيف يصيب نسيج الجلد أي حدث فيزيقي ، وأن هذا الأخير قد سبب حدثًا سيكولوجيًا هو الخوف من الاقتراب من النار ، فإن الحدث العقلي الأول يعتمد بالضرورة على الحدث الفيزيقي ، وبالتالي فإن الحدث العقلي هنا يدخل في علاقة علية عارضة متضمنة أحداثًا سيكولوجية ليست أقل جوهرية من الأحداث الفيزيقية ، ولكن نعتبر هذا النوع من الأحداث أحداثًا ذات علاقات علية اعتمادية. وبذلك يقرر كيم أنه نجح بهذا العمل حين أسند قوى سببية إلى الأحداث العقلية على نحو طبيعي[٢٠].

(٥ – ٢) تتواجد العلاقات الاعتمادية بسبب مبدأ التحديد determination الذي يتحقق نتيجة اعتماده على ما هو فيزيقي ، فيبين مبدأ التحديد أن الوقائع الفيزيقية تحدد كافة وقائع العالم الفعلية بما فيها الوقائع العقلية[٢١].

---

(١٨) OP. Cit : p. 263.
(١٩) Ibid : p. 264.
(٢٠) Ibid.
(٢١) Kim : Supervenience and Mind, p. 54.

(٥ – ٣) يربط كيم بين علاقة الاعتماد وبين علاقة الكل بأجزائه ويصفها بأنها علاقة ميريولوجية mereological relation[٢٢] وهي علاقة طبيعية تنشأ بسبب اعتماد وجود الكل The Whole على وجود أجزائه ، كما تحوز هذه العلاقة الاعتمادية على شرعية كونية[٢٣].

٦ – بناء على ما سبق تبرز القضية «العقلي يعتمد على الفيزيقي» حيث تقودنا هذه القضية إلى السؤال بخصوص استخدام نظرية الاعتماد الضروري لوضع تفسير لعلاقة العقل بالجسد.

يعرض كيم في البداية عدة نظريات معاصرة سبقت نظريته في تفسير العلاقة بين العقل والجسد اعتماديًا وإن لم تصرح باستخدام لفظ «اعتماد» ويرى كيم أنه بالرغم من أن هذه النظريات تقدم تفسيرات هامة لعلاقة العقل والجسد قد تكون أحيانًا متعارضة إلا أنها تتفق على مبدأ أساسي هو اعتماد ما هو عقلي على ما هو فيزيقي. أولى هذه النظريات هي نظرية الرد الفيزيقي physical reductionism[٢٤] وترى أن الحالات العقلية تُرد إلى حالات فيزيقية. أما نظرية الانبثاق emergentism[٢٥] فتقرر أن ما هو عقلي لا يتحقق فيزيقيًا بل ينتج عن ما هو فيزيقي ، فالحالات الفيزيقية شديدة التعقيد والتركيب حيث ينبثق عن هذا التعقيد حالات جديدة ، ينطبق هذا على المخ الإنساني بوصفه تركيبًا معقدًا من العمليات الفسيولوجية والعصبية ينشأ عنه منبثق جديد هو العقل أو الحالات العقلية. كذلك من بين هذه النظريات كانت نظرية الظواهر العارضة التي سبق الإشارة إليها.

٧ – يرى كيم شأنه شأن معظم النظريات المعاصرة أن العالم منقسم إلى نماذج متعددة التركيبات تضع الوجود في مستويات levels أو أنظمة orders

---

(٢٢) هي علاقة منطقية تعني قيام علاقة هوية بين الكل وأجزائه ، تطورت هذه النظرية على يد ليزنسكي وتارسكي وجودمان.

(٢٣) Ibid.

(٢٤) نظرية معاصرة ترى أن كل العلوم يمكن ردها إلى علم الفيزياء ، وأن الأحداث العقلية ما هي إلا أحداث فيزيقية من نوع معين ، وبناء على هذا فإنه يمكن لكافة ظواهر علم النفس أن ترد إلى علم البيولوجيا.

(٢٥) نظرية معاصرة ظهرت عند لويد مورجان (١٨٥٢ – ١٩٣٦) وعند صمويل الكسندر (١٨٥٩ – ١٩٣٨) وتشارلز برود (١٨٨٧ – ١٩٧١).

مرتبة ترتيبًا هرميًا يُطلق عليه (البناء الهرمي) hierarchical structure يتألف المستوى الأول من عناصر تمثل نظامنا الفيزيقي الذي يشكل أجزاء المادة، ثم يأتي بعد ذلك مستوى الذرات والجزيئات ، ثم مستوى الخلايا ومستوى الكائنات العضوية ، وتكون العلاقة المنظمة المكونة للبناء الهرمي هي العلاقة الميريولوجية mereological relation التي تقوم بين موجودات ذوات مستويات مختلفة – كما سبق التوضيح – وتتحدد المستويات وفقًا لطبيعة ما تنتمي إليه هذه الموجودات ، فهناك مستويات أساسية أو جوهرية ، وكذلك هناك مستويات أدنى منها ، فالكائن العضوي يمتلك أعضاءه الأساسية التي تشكل أجزاء رئيسة تتفرع منها أجزاء أخرى ، وتقوم هذه الأجزاء بإنتاج أفعال جديدة ليست من نوع الأجزاء الأساسية ، فاليد تحرك الكوب ولكن طبيعة حركة الكوب تختلف عن طبيعة اليد. وهكذا تشكل الموجودات ذلك النموذج المركب ثم تتوزع على مستويات الكون المتمثلة في الأنشطة المختلفة والوظائف التي تضطلع بأدائها ، ويتوجه كل مستوى لصفات أو لخصائص يطلق عليها الصفات المميزة characteristic properties فمثلاً الصفات المميزة لمستوى الجزيئات moleculars تتواجد في الموصل الكهربائي والكثافة واللزوجة وما يناظرها ، أما الأنشطة والوظائف فتظهر في التمثيل الغذائي واللزوجة والتكاثر وسائر وظائف الجهاز الحيوي في الكائن العضوي ، كذلك تظهر الصفات المميزة في الخلايا celles وفي سائر المستويات البيولوجية العليا. هناك أيضًا الوعي consciousness والصفات العقلية mental properties فيظهران في مستوى الكائنات العضوية العليا(٢٦).

بناء على ما سبق بيانه ترد إلينا هذه الأسئلة :

- كيف ترتبط الصفات المميزة في مستوى الصفات البيولوجية أو الصفات الحيوية Vital بالصفات الفيزيقية والكيميائية؟
- كيف يمكن للوعي وللقصدية الارتباط بالصفات البيولوجية والفيزيقية؟
- كيف يمكن للظواهر الاجتماعية أن ترتبط بالأفراد؟

---

(٢٦) Kim : The Mind and Body Problem , An essay in "The Place of Mind" , Ed. by Brain Cooney, Wadsworth , U.K. 2000.

يرى كيم أن طرح هذه الأسئلة ليس الهدف منه تحديد إجابات بقدر التعبير عن تقديرات خاصة بوقائع مصاغة في صيغة السؤال للتنبيه إلى أهمية الموضوع ، وبالفعل ترتبط الصفات البيولوجية بالصفات الفيزيقية والكيميائية ، وكذلك يرتبط الوعي بما يقرره علم البيولوجيا وعلم الفيزياء. وبطبيعة الحال تنطبق الظواهر الاجتماعية على الأفراد لأنهم يقومون بتحقيقها. ولذلك يقرر كيم أن العلوم التي تضطلع بالمهام السابقة هي فلسفة العلم والميتافيزيقا وفلسفة العقل. كما نجد نظريات تتناول تلك الموضوعات مثل نظرية الرد والمذهب الوظيفي والمذهب الفردي الميثودولوجي[٢٧] ، ومذهب الانبثاق والمذهب الحيوي الجديد[٢٨] ، وبناء على هذا تقوم اعتمادية هنا عندما تنطبق على هذه النماذج التي تعكس علاقات الكل بالجزء وتسمى اعتمادية ميريولوجية mereological supervenience ويقصد بها أن صفات الكليات متحددة عن طريق الصفات التي تميز أجزائها[٢٩] ،

---

(٢٧) المذهب الفردي المثودولوجي methodological individualism يقرر أن الوقائع الاجتماعية يمكن معرفتها بشكل عام من خلال وجهات نظر الأفراد وتوجهاتهم وأفعالهم. عكس هذه الرؤية نظرية الكلية holism وتقرر أن الجماعة الاجتماعية هي التي تحدد الفردية وتمنحها المعقولية والمفهوم.

(٢٨) المذهب الحيوي الجديد neo-vitalism وهو إحياء للمذهب الحيوي vitalism ويعني أن نظم الحياة لديها خصائص معينة لا تُفسر من خلال الحدود الفيزيائية والكيميائية بل عن طريق الدور السببي الموظف في النظام الحيوي في الحياة المعاشة.

(٢٩) يمكن أن نجد مثيلاً لهذه الفكرة عند ليبنتز (١٦٤٦ – ١٧١٦) والفيلسوف الإنجليزي المعاصر جون ماكتجارت (١٨٦٦ – ١٩٢٥). وضع ليبنتز هذه الفكرة فيما أطلق عليه مبدأ التناسق الأزلي المقدر pre-established harmony فيقرر أن الموناد متكثرة حيث يتشكل الكون منها. وهي تكشف العالم المحيط بها برغم فرديتها وتمايزها وخصائصها الباطنية ، ولذلك يقيم كل موناد لنفسه نسقًا متفردًا ، ولكن لا تظل الموناد على الفردية إذ تترابط معًا في وحدة واتساق وهي بهذا الترابط تعكس طبيعة الكل الذي تنتمي إليه. انظر في هذا الموضوع :

ليبنتز : المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي ، ترجمة وتعليق د. عبدالغفار مكاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، فقرة ١٥.

أما الفيلسوف ماكتجارت فيرى بالكون كثرة متمايزة في الكليات wholes ، وينقسم الكل إلى أجزاء parts يكشف كل جزء عن جانب معين من جوانب الكل ، ويظهر ذلك الكشف في الكيفيات المميزة ، وعندما نوحد بين تلك الأجزاء نجد أنها جميعها تكشف عن طبيعة الكل الذي تنتمي إليه. وبذلك يعبر الاتحاد عن علاقة تتقوم بين الكل وأجزائه.

= وهذا يعني أن الأجزاء الحاملة لصفات معينة إذا اجتمعت معًا في وحدة ، فإنها تقوم بوظيفة هامة هي الكشف عن طبيعة ذلك الكل. انظر في ذلك :

فأي موضوع أو موجود قابل لأن يتحلل على نحو فريد إلى عدة مستويات تخص أجزاء فيزيقية ذوات أهمية وظيفية كأن يتحلل الموجود إلى ذرات atoms وجزيئات molecules وخلايا cells، وهنا تتحدد الأهمية وفقًا للنظام الجوهري للأجزاء ، وبالتالي يُستثنى من ذلك تحليل الأجزاء الثانوية والتحليل الجزافي(٣٠).

٨ – هنالك ثلاثة أنماط لنظرية الاعتماد :

الاعتماد الضعيف Weak supervenience

الاعتماد العالمي Global supervenience

الاعتماد القوي Strong supervenience

ولكن قبل عرض هذه الأنماط يجب الإشارة إلى أنها ترتبط بفكرة العوالم الممكنة possible worlds. وتقوم هذه الفكرة على فرض إمكانية تحقيق الحدث أو عدم تحقيقه ، ويظهر ذلك حين نقول «من الممكن أن أكون مديرًا» أو نقول «من الممكن أن يفوز فريق السلة في المباراة القادمة». هاتان العبارتان لا تقرران واقعة تحدث أو حدثت بل لا تسلم أي منهما بوقوع الحدث بالفعل. وبناء على هذا اعتاد الفلاسفة الحديث عن هذه الممكنات possibilities في حدود فكرة العالم الممكن ، فحين أقول «ربما أكون مديرًا» تعني أن هنالك عالمًا ممكنًا أكون فيه مديرًا.

يختلف العالم الممكن في الأسلوب عن عالمنا الواقعي الفعلي ، فهو عالم يؤلف إدعاء موقوفًا حيث يُعد الأسلوب النوعي المعبر عن شكل الادعاء أسلوبًا ممكنًا فتأخذ الجملة صيغة الموقوف على شرط مثل القول «من الممكن لفريق كرة السلة أن يفوز في المباراة القادمة» أو القول «من الممكن أن أكون مديرًا»، وبذلك تتحدد الادعاءات الموقوفة على شرط وجودها بالعالم الذي تنتمي إليه ، ومن ثم يصبح لكل منا عالمه الممكن وهذا يعني وجود عدد كبير من العوالم الممكنة الناتجة عن طريق فروض تختلف بسماتها عن العالم الواقعي الفعلي ، ولكن يمكن

Mc Taggart : The Nature of Eistence, Vol. 1, Cambridge University Press, 1921, reprinted in 1988, p. 157.

انظر أيضًا كتابنا : طبيعة الوجود في الفلسفة المثالية عند ماكتجارت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، سنة ٢٠٠٠ ، الفصل الثالث فقرة ١١٤.

(٣٠) Kim : The Mind – Body Problem, p. 175.

أن تتشابه عوالم أخرى مع عوالمنا وهكذا تتشكل مجموعة لا نهائية من العوالم الممكنة. يمكننا القول «إن الخراف تطير» وهذا القول يتحقق فقط في فكرة العوالم الممكنة.

هنالك من يرى أن فكرة العوالم الممكنة لها إرهاصات أولى عند ليبنتر عندما قال إن الله اختار أفضل العوالم الممكنة وهو العالم الذي نعيش فيه ، وقد اختار هذا العالم من بين عوالم ممكنة لا نهائية. لكننا نرفض هذا الرأي على أساس أن الإمكانية عند ليبنتز تعني القدرة على خلق عالم يتناسب مع طبيعة الحياة التي تحياها كافة الموجودات على الأرض ، وهذا المعنى يختلف عن الوظيفة الفلسفية لفكرة العوالم الممكنة في الفلسفة المعاصرة.

كذلك نجد أصحاب التفسير السيمانطيقي في المنطق الشرطي Modal logic وعلى رأسهم ساول كرايبك[٣١] قد تحدثوا عن العوالم الممكنة في مبحث الصدق وأضافوا رمزين إلى المصطلحات الرمزية الأساسية في المنطق المعاصر وهما الشكل وتُقرأ possib أو (من الممكن). والشكل ويقرأ ضرورة necessarily أو (من الضروري أن) ويمكن صياغة القضية كما يلى :

هذه ضرورة أو صادق بالإمكان. لكن كيف يمكننا أن نحدد حالات صدقها ؟ والإجابة هي أننا نقرر أن هذه الحالات توجد في العوالم الممكنة ، أما بالنسبة للصدق الضروري مثل ٢ + ٢ = ٤ صادقة في كافة العوالم الممكنة ولا يوجد موقف ممكن لكذبها. أما الصدق الممكن فهو ينطبق على موقف معين إذ يستحيل ألا أكون مديرًا[٣٢].

---

(٣١) ساول كرايبك Saul Kripke (١٩٤٠ –) فيلسوف أمريكي منطقي معاصر اهتم بفلسفة اللغة والمنطق الشرطي ونظرية الأسماء. أهم مؤلفاته :

- Naming and Necessity. 1980.
- Wittgenstein on Rules and Private language , 1982.

(٣٢) انظر في هذا الموضوع ما يلي :

- Ted Honderich (ed) : The Oxford Comparison to the Philosophy, Oxford University Press, Oxford , 1995, p. 707.
- Roderick Chisholm : "Identity Through possible Worlds" An essay in "Metaphysics" An Anthology , Blackwell, U.K. 1999, p. 149 – 152.

٩ – نعود إلى أنماط الاعتماد ونبدأ بالنمط الأول المسمى بالاعتماد الضعيف، يرى كيم أن نظرية الاعتماد ظهرت عند هير Hare وهي خاصة بالأحداث ، ثم عند الفيلسوف دونالد ديفدسون وخصت الموضوعات فقرر أن الظواهر العقلية تعتمد على الظواهر الفيزيقية ، أما كيم فقد جعل الاعتماد خاص بالجانبين – أي بالأحداث والموضوعات – فيرى أن الخصائص العقلية تعتمد على الخصائص الفيزيقية وبالتالي فإن أي تغير يحدث في الحالة العقلية يسبقه تغير في الحالة الفيزيقية ، فالاستلزام والاعتماد والعلية تُعد روابط ضرورية بين العقلي والفيزيقي ، أما إذا لم يحدث الاعتماد بشكل تام أو حدث بشكل جزئي فإنه يكون اعتماد ضعيف. فإذا افترضنا وجود المجموعة (أ) بها صفة خير ، والمجموعة (ب) بها صفات شجاع ومحسن وشريف وأيضًا الصفة خير ، وإذا افترضنا كذلك أن تعتمد المجموعة (أ) على المجموعة (ب) في صفة واحدة هي محسن ؛ فإن هذا اعتماد ضعيف ، فإذا حدث تغير في (ب) يستلزم أن يحدث نفس التغير في (أ) ، ولو اختفت صفة محسن من (ب) يستلزم اختفاؤها من (أ)، وبذلك نجد أن (أ) تعتمد على (ب) على نحو بسيط. بناء على ما سبق نتوصل إلى أن صفات (ب) كاملة قوية متسقة ، ولكن هل يمكن أن تحصل (ب) على صفات (أ)؟ (٣٣)

نعم يمكن ذلك بينما لا تحصل (أ) إلا على صفة واحدة من صفات (ب).

وإذا افترضنا وجود العوالم الممكنة ، فإن الاعتماد الضعيف يمكن أن يظهر فيه أيضًا ، فلا يشترط وجود عالم ممكن به موضوعان لهما نفس الصفات وهذا يعني أن الموضوع (أ) قد لا يعتمد على نفس الصفات في الموضوع (ب). فإذا افترضنا عالمًا ممكنًا خاصًا بالشخص س الذي يرغب فيه أن يكون مديرًا ، وعالمًا واقعيًا به سلب تحقيق الرغبة أكثر من الإيجاب فإنه لا يمكن للحالة (يرغب أن يكون مديرًا) أن تعتمد على مجريات أحداث العالم الواقعي.

ينطبق هذا الوضع على الصفات العقلية والصفات الفيزيقية كما يلي :

- Samuel Guttenplan : "Possible Worlds" in A Companion to the Philosophy of Mind, P. 484.

(٣٣) William Seagr : "Weak Supervenience and Materialism ", an essay in "Philosophy and Phenomenological Research , vol. 48, No. 3 , 1988 , p. 701

– قد لا تعتمد الصفات العقلية على الصفات الفيزيقية على نحو كامل لأسباب معينة ، ويظهر هذا في المقارنة بين عالم ممكن وعالم واقعي.

– في العالم الممكن توجد حالة عقلية هي (الخشية من التألم من حدوث جرح أثناء الإمساك بمدية) ، بينما في العالم الواقعي (لا توجد مدية).

بناء على هذا نتوصل إلى :

– تعتمد الأولى على الثانية غير محتملة الوقوع ، مع أن هنالك صفات قد يعتمد فيها العالم الممكن على العالم الواقعي مثل إمكانية التألم ، وهنا يكون الاعتماد ضعيف.

– إذا افترضنا أيضًا وجود حالة عقلية هي (الرغبة في الراحة النفسية والبعد عن التوتر) ، ووجود حالات فيزيقية هي (تغيير المكان) و (أخذ مهدئات) و (الانهماك في العمل) ، وإذا افترضنا أن قام شخص بتحقيق الجوانب الثلاثة ، ولكن اعتمدت الحالة العقلية على حالة فيزيقية واحدة هي (تغيير المكان) ، هنا نطلق على هذا الاعتماد اسم الاعتماد الضعيف. وبناء على هذا نتوصل إلى أن الاعتماد الضعيف ليس كافيًا لتدعيم الاعتماد المتبادل بين العقل والجسد(٣٤).

١٠ – يناقش كيم النوع الثاني من الاعتماد المسمى بالاعتماد العالمي ، فيقرر أن هذا النوع أقوى من النوع السابق وهو يتوافق مع الاعتماد القوي – (سيرد الحديث عنها فيما بعد) – حيث يستلزم الاعتماد القوي الاعتماد العالمي ، وهذا التوافق بين نوعي الاعتماد يعني وجود تأثير مدعم متبادل بينهما. ينطبق الاعتماد العالمي على عوالم أو جوانب لا يمكن تمييزها في بعض الأحيان على نحو إجمالي ، وهذا النوع من الاعتماد ينطبق على جوانب كلية عامة تؤخذ كوحدات غير متمايزة مختلفة في هذا التطبيق عن الانطباق على الأفراد. هذا يعني أن العالم المتشابه فيزيقيًا يعتمد على تشابه من الناحية العقلية. وهذا الانطباق

---

(٣٤) Kim : Supervenience and Mind , pp. 57 – 64.

وأيضًا :

Kim : Supervenience , An essay in A Companion to the Philosophy of Mind, pp. 577 – 578.

الإجمالي يفسر بوضوح معنى محددًا هو الخصائص العقلية لعالم معين تكون معتمدة ومتحددة بمثيلتها الفيزيقية[٣٥].

١١ – ننتقل إلى الاعتماد القوي[٣٦] وهو يختلف عن الاعتماد العالمي في درجة التحديد والتمييز ، فتنطبق على الفرد أو الأفراد أو الجزئيات وليس على الكليات حيث تشير إلى الوضع المحدد للموضوعات أو الأشخاص في كافة العوالم ، كما تقوم بتحديد العلاقة بين الصفات المعتمدة وبين الصفات المعتمد عليها أي الصفات الأساسية base properties ، ويضع كيم صورة العلاقة في الاعتماد القوي كما يلي :

– مجموعة صفات (أ) تعتمد بقوة على صفات (ب).

– أي صفة (ف) في (أ) يقابلها الصفة (ج) في (ب).

– إذن أي شيء لديه (ج) لديه أيضًا (ف).

وبتطبيق هذه الصورة السابقة على مشكلة العقل والجسد نجد أن الصفات العقلية تعتمد على الصفات الفيزيقية ، وهذا يعني أن الصفة العقلية لها صفة أساسية فيزيقية، ويمكن صياغة هذه الفكرة رمزيًا على النحو التالي :

ع = حالات عقلية.

ف = حالات فيزيقية.

فإذا وجد شيء له صفة فيزيقية محددة هي (ف).

فإن أي شيء له الصفة (ب) يحصل بالضرورة على (ع).

---

(٣٥) Kim : Supervenience and Mind , p. 69.

انظر أيضًا :

- Bradford Petrie : Global Supervenience and Reduction , an essay in "Philosophy and Phenomenological Research, vol. 48, No. 1 , p 120.

(٣٦) عالج كيم الاعتماد القوي في عملين هما :

Supervenience and Mind.

وفي :

The Mind and Body Problem, an essay in "The Place of Mind" ed. by Brian Cooney , Wadsworth, U. K. 2000.

نستنتج مما سبق أن أي صفات عقلية تعتمد بالضرورة على أسسها الفيزيقية بضرورة منطقية أو طبيعة[٣٧].

١٢ – للاعتماد القوي مبدآن هما مبدأ الاعتماد dependence ومبدأ التغير المشترك للصفة Covariance يتقوم الأول نتيجة الترابط العلي بين الصفات المعتمدة وبين الصفات المعتمد عليها وهو ترابط لا يكشف فقط عن اعتماد إجرائي بين الصفات المتنوعة بل يقوم على علاقة اعتماد أساسية تستلزم بدورها علاقة تحديد determination ، فإذا كان ما هو عقلي يعتمد على ما هو فيزيقي ، وكان الفيزيقي هو ما يحدد العقلي ، إذن يتواجد الفيزيقي عن طريق طبيعته الفيزيقية. تظهر أيضًا علاقة الاعتماد في الصفات المتشابهة فيزيقًا وسيكولوجيًا ، فالأشخاص المتشابهة فيزيقًا يمكن أن تتشابه سيكولوجيًا[٣٨].

تتصف علاقة الاعتماد باللاتماثل asymmetric فإذا اعتمدت س على ي أو تحددت بها فلا يمكن أن تتحدد ي أيضًا بـ س أو تعتمد عليها ، فالمحدِّد إما أن يكون سابقًا وجوديًا على ما يقوم هو نفسه بتحديده أو يكون أكثر أساسية لما يتحدد به.

أما المبدأ الثاني للاعتماد القوي فهو التغير المشترك للصفة ، فإذا اتفقت مجموعات للصفات على محدد واحد فإن التغير يتحقق في هذه المجموعات معًا، أو أنهم جميعًا يشتركون في المحدد وبالتالي في الصفات ، والسبب هو اعتماد

---

(٣٧) Kim : Mind and Body Problem, p. 171.

(٣٨) الأشخاص المتشابهة فيزيقًا يمكن أن تتشابه سيكولوجيًا ، وتفسيرنا لهذه الفكرة هو أن تحديد التشابه بين الموجودات يكون على نحو كلي وليس على نحو جزئي ، إنه تحديد أنطولوجي نسقي لسمات النوع ، وعلى مستواه نجد التشابه في الصفات الفيزيقية التي تميز النوع ، وعلى مستواه نجد التشابه في الصفات الفيزيقية التي تميز النوع عن غيره من الأنواع الأخرى ، كذلك نجد نفس التشابه في الصفات العقلية والسيكولوجية العامة. فالناس جميعًا لهم تركيب فيزيقي جسدي متشابه (جهاز عصبي ، جهاز معدي ، جهاز دوري ، أنوف ، عيون .. الخ) ، كذلك هنالك حالات عقلية تميز النوع (الإنسان) كالتفكير والاستدلال والاستنتاج والتذكر ، والقلق والتوتر .. الخ ، وإن كان كل فرد (جزئي) له حالاته الخاصة (ذكرياته ، خبرته ، ميوله، رغباته). إذن جرح اليد هو حالة فيزيقية يتبعها حالة عقلية هي الإحساس بالألم ، هذا يعتبر قانونًا عامًا طبيعيًا ينطبق على كافة الأنواع ، (الباحث).

الصفات على محدد واحد يُظهرها كمعلولات لازمة ناتجة عن سبب واحد حيث يقوم هذا التلازم ببناء نموذج أصلي لتضايف Correlation [٣٩].

وبناء على هذا يكون اعتماد العقل والجسد – كما يرى كيم – ممثلاً لنظرية تحدد نماذج لصفة التنوع المشترك بين العقلي والفيزيقي ، كذلك يقرر الاعتماد وجود علاقة بينهما بحيث تجعل الفيزيقي بمثابة الأساس الذي تقوم عليه علاقة الاعتماد.

١٣ – ينتقل كيم بعد ذلك لعرض بناء نسقي للعالم وفقًا لنظرية الاعتماد وهو – في رأينا – عرض أنطولوجي فيزيقي يحدد تطبيق النظرية على مستويات الوجود[٤٠]، فيبدأ بنقد الثنائية الديكارتية لأنها أدت إلى إيجاد انفصال بين مستويات الوجود وهو الأمر الذي فصل بين عالمين : هما عالم العقل وعالم المادة ، ولذلك حاولت كثير من النظريات الربط بينهما ، فجاءت نظرية الاعتماد مزودة بمفهوم حيادي يأخذ بمعطيات العلم المعاصر ورأت أن العالم يمثل بناءً منظمًا في مستويات مرتبة ترتيبًا هرميًا hierarchical ، يتألف المستوى الأول من جسيمات أحادية العنصر elementary particles تمثل أجزاء نظامنا الفيزيقي وتشكل مقومات أساسية من المادة حيث تقوم هذه المادة هي الأخرى بتشكيل الموضوعات المادية في العالم الخارجي. وفي المرحلة الثانية من مراحل البناء الهرمي نجد الذرات والجزيئات والخلايا والكائنات العضوية العليا. ويعتمد هذا البناء الهرمي في تولده المستمر على العلاقة الميريولوجية ، فالموجودات ذات المستوى العالي تظل باقية باستثناء الموجودات التي لديها انحلال. إذن هنالك أجزاء جوهرية وأخرى أدنى ليس لها أهمية فيزيقية ، وتتحدد الصفة الأساسية للموجودات الجوهرية في

---

(٣٩) Kim : Ibid.

(٤٠) يمكن أن نجد اقترابًا بين كيم وبين الفيلسوف الألماني شلنج (١٧٧٥ – ١٨٥٤) في هذه الفكرة. وضع شلنج نظرته فيما أطلق عليه (فلسفة الطبيعة) ويقصد بها تحديد بناء نسقي عقلي استنباطي للطبيعة والمادة ، إذ لا يقدم هذا البناء علمًا تجريبيًا يحدد قوانين طبيعية فهذه مهمة العلوم التجريبية البحتة ، إنما يقدم فلسفة للطبيعة تضع أساسًا عقليًا يمتد وراء هذا العالم الطبيعي. ولذلك يُقال أن شلنج وضع (فيزياء تأملية) واقترب بها من العقلانية العلمية ، فهو يستعين بالنظريات العلمية بوصفها مقدمات لبناء عقلي يفسر به الطبيعة أو الوجود. انظر :
Ted Hondarich : The Oxford Companion to Philosophy , p. 800 – 801.

كونها تشكل مؤلفًا أو نموذجًا من طبقات حيث يوجد في كل طبقة مستويات لصفات الأنشطة وكذلك لوظائف تؤكد على ظهورها الأولى تأكيدًا واضحًا. يطلق على هذه الصفات اسم الصفات الخصائصية characteristic properties للمستوى الجزيئي. وتوجد هذه الصفات الخصائصية في الموصل الكهربي والالتهابات وقابلية الالتهابات والكثافة واللزوجة. كذلك يناظر هذه الأنشطة أنشطة أخرى ووظائف أخرى مثل التمثيل الغذائي والتكاثر وهي صفات خصائصية تميز الخلايا والمستويات البيولوجية العليا. أما الشعور والصفات العقلية فيظهران في الكائنات العضوية العليا(٤١). وبهذا يتم تشكيل العالم من خلال شبكة من العلاقات والترابطات بين مستوياته المتعددة ، فترتبط الصفات البيولوجية بالصفات الفيزيقية والكيميائية ، كذلك يرتبط الوعي بكل من الصفات البيولوجية والفيزيقية ، وقد جاءت هذه الترابطات من عدة جوانب فلسفية متضافرة مثل فلسفة العلم والميتافيزيقا وفلسفة العقل ، وقد ساعد هذا الأمر على ظهور نظريات فلسفية هامة مثل نظرية الرد والنظرية الوظيفية ونظرية الانبثاق ونظرية اللارد .. الخ.

١٤ – يعلن كيم أن نظرية الاعتماد تتوافق مع النظام الكوني ويتحقق ذلك عن طريق ما قدمته النظرية من كشف عن الأنظمة المركبة من طبقات أو انبثاقات في تكوينات الطبيعة أو الوجود ، وهذا العمل سيؤدي إلى وجود حالات كثيرة على مستوى مجهري دقيق مثلما يحدث في تكوين الخلايا الجسيمية غير المنظورة أو حالات ذات مستوى كلي كحالات الألم. وبناء على هذا نجد أمامنا كونًا هائلاً من الترابطات والاعتمادات تُصب جميعها في أنظمة متحققة بين الأجزاء القائمة في النظام. فالكون (أو الكل) يمثل نظامًا ذا مستوى راق لشموله على أجزاء كثيرة وكذلك لإمكانية تحليله إلى مجموعات أجزاء على المستوى نفسه حيث تترابط هذه الأجزاء بعلاقات مع بعضها البعض ، أي تكون الأجزاء نفسها أعضاء لهذه العلاقة.

يرى كيم أن علاقة الاعتماد عندما تنطبق على نموذج الكون المنتظم نجدها تعبر عن اعتماد ميريولوجي حيث تتحدد صفات الكون عن طريق

---

(٤١) Kim : Mind and Body Problem , p. 174.

الخصائص والعلاقات التي تسم أجزاءه ، وهنا يظهر ثمة تشابه بين نظرية الاعتماد والنظرية التي نادى بها ديمقرطيس (٤٦٠ – ٣٧٠ ق.م) ويدعو فيها إلى أن العالم يتكون من ذرات تدخل في تركيب الأجسام[٤٢].

إذن هنالك صفة مميزة تضعها نظرية الاعتماد تصف الأجزاء ، فأي موضوع لديه تركيب فريد ، وهو في الوقت نفسه يقبل تحليل تركيباته وجزيئاته الفيزيقية بشكل متفرد. وبناء على ما سبق تضع نظرية الاعتماد تحديدًا للصفات العقلية في الكائنات ذوات العقل فيما يلي :

(١٤ – ١) النظام الفيزيقي الأنطولوجي: Ontological Physicalism

فأي كائن أو موجود إنما يتشكل عقله عن طريق الأجزاء الفيزيقية تمامًا وهي أجزاء أساسية حازت على هذه السمة بدون الحاجة لما هو غير فيزيقي (كالأرواح الديكارتية).

(١٤ – ٢) الاعتماد الميريولوجي : Mereological Supervenience

وتعني أن الصفات العقلية تعتمد على بناءات مجهرية دقيقة للموجودات التي تمتلك تلك الصفات. هذا يعني أن هنالك وقائع تقرر أن الموجودات التي تألفت من أجزاء كثيرة تكون قد تم عرضها في بناء تحدد تعريفه عن طريق علاقات معينة.

(١٤ – ٣) هنالك مستويات فيزيقية أساسية (الجزيئات والخلايا) وهي مستويات غير قابلة للتمييز ، لكنها تستلزم مستويات عقلية معينة مثل الشعور والإحساس بالألم.

(١٤ – ٤) نلاحظ أن الاعتماد الميريولوجي ينطبق فقط على الصفات الفيزيقية والعقلية المجهرية التي تحتاج إلى تحليل فسيولوجي، فاعتمادية العقل والجسد المبينة تعني اعتماد العقلي على الفيزيقي في الصفات الفيزيقية الدقيقة أو الميكروفيزيقية microphysical (صفات الخلايا الجسمية أو العصبية) [٤٣].

يطرح كيم مجموعة أسئلة افتراضية تتعلق بما سبق عرضه هي :

---

(٤٢) Ibid : 175.

(٤٣) Ibid : p. 176.

– كيف تعتمد الصفات العقلية على الصفات الميكروفيزيقية ؟

– هل يقدم الاعتماد الميريولوجي تبريرًا دقيقًا لعملية الاعتماد؟

– لو افترضنا أن «النوم» صفة عقلية ، هل تعتمد على صفة عقلية ميكروفيزيقية؟

– هل يمكن تفسير كيفية حصول شيء على صفة ميكروفيزيقية؟

١٥ – يعرض كيم حلولاً للأسئلة المطروحة آنفًا في نظرية بعنوان «نظرية التحقيق الفيزيقي» physical realizationisim وتعني أن الصفات العقلية يمكن أن تتحقق فيزيقيًا ، أو قد تحققت فيزيقيًا بالفعل ، ويظهر في هذا التعريف أثر من المذهب الوظيفي يبدو في عملية تحديد صفات معينة بوصفها مراحل وسطى سببية causal intermediaries stages تقع بين المدخلات الحسية sensory inputs وبين المخرجات السلوكية behavioural outputs ، وبناء على هذا تظهر حالات فيزيقية تعد بمثابة محققات للأدوار العلية ، فشعور عضو جسدي بألم ينتج بسبب الدخول في حالة داخلية هي تلف في نسيج الجلد ، فتحدث انتقالات عصبية إلى المخ تؤدي إلى سلوك يعبر عن الألم أي تؤدي إلى «الوجود في ألم» being in bain أو حالة التألم[٤٤] المتمثلة في انتفاضات أو أنات أو صراخ.

يتخذ كيم الألم مثالاً نموذجيًا للحالة فيقرر أن الألم هو حالة معينة تدخل تحت نظام أو ضرب order معين ينتج عن ضرب آخر ، كذلك يقدم كيم تحليلاً رمزيًا[٤٥] نوضحه كما يلي :

– هناك صفات أساسية يطلق عليها صفات الضرب الأول first order وتحمل الرمز (أ).

– هناك صفات ناتجة عن الصفات الأساسية تسمى صفات الضرب الثاني Second order ورمزها (ح).

---

(٤٤) مصطلح «حالة التألم» من وضع الباحث.

(٤٥) نقدم تحليل كيم بشيء من التصرف نظرًا لصعوبته.

– إذا قلنا إن (أ) مجموعة أساسية تحمل صفة الحصول على اللون ، إذن هي تدخل تحت الضرب الأول.

– تكون صفة الحصول على اللون الأحمر ، وصفة الحصول على اللون الأزرق وكذلك اللون الأخضر بمثابة محققات realizers لصفة اللون تظهر في هيئة ج١ ج٢ ج٣.

– بناء على هذا تصير صفة الضرب الثاني ناتجة عن طريق شمول الكم الوجودي في الحالة الراهنة للصفات الأساسية.

– نستنتج إذن أن الصفات الوظيفية – كما يرى كيم – هي صفات من الضرب الثاني تُعْرَف في حدود العلاقة العلية مع الضرب الأول ، فمثلاً : صفة النوم هي صفة من الضرب الثاني خاصة بصفة أساسية من الضرب الأول حيث تكون الصفة الأخيرة هي المسببة للنوم عند البشر.

– إذن النوم كصفة ضرب ثان إنما تنتج عن صفة الحصول على مركب كيميائي فيزيقي يسبب النوم.

– نتوصل من العرض السابق إلى ما يلي :

– حالة التألم هي حالة ناتجة عن مجموعة أسباب كيميائية فيزيقية فسيولوجية سببت الألم.

– الألم صفة ضرب ثان ناتج عن صفة الحصول على ضرب أول يتمثل في الحالة الكيميائية الفيزيقية التي تحدد بدورها علاً نمطية نموذجية تحمل طبيعتها الخاصة وتسبب حالة التألم عند البشر(٤٦).

إذن الصفات العقلية وفقًا لهذا النسق تتحدد عن طريق الدور العلّي الذي يتمثل في تلك العلاقات العلِّية التي تتعين نتيجة الحصول على صفات فيزيقية في النظام الأول شاملة صفات بيولوجية وأخرى سلوكية. وفي هذا المعنى تتحول الصفات إلى علاقات تخارجية extrinsic relations تتمثل في صفات علائقية نحصل عليها بشكل دائم نمطي ، فكونك في حالة عقلية يعني حصولك على حالة لها أسبابها النمطية ومعلولاتها ، وهذا أيضًا معناه أن الصفة الوظيفية تعتمد بنائيًا

---

(٤٦) Ibid : p. 177 – 178.

على علاقاتها السببية الشرعية مع الصفات الأخرى وليس مع الصفات الداخلية وحدها ، حيث تؤدي الصفات الداخلية دورها بسبب قدرتها على الحصول على صفات شرعية أساسية على نحو سببي ؛ وهكذا تصير الصفات الداخلية مرتبطة بالصفات الخارجية وتكون الأخيرة سببًا ومحققًا للأولى. إذن فإن أي ميكانزم داخلي ينشط عن طريق مُدخل سليم يحفز بدوره استجابة سليمة ويكون محققًا للقدرة الوظيفية السيكولوجية(٤٧).

١٦ – إن عملية التحقيق الفيزيقي تشترط أن يعتمد العقل على الجسد ؛ لأن الصفة العقلية يمكن تفسيرها في حدود النمط الوظيفي ، وبهذا نحصل على تضايفات عقلية فيزيقية mental – physical correlations ، وهذا الأمر يتطابق مع نموذج الرد في العلم ، إذ يتم تفسير ظاهرة ما من خلال تأويلها وظيفيًا في حدود علاقاتها العلية القانونية المرتبطة بدورها مع صفات أخرى وظواهر أخرى. فلكي نرد درجة الحرارة لأي موجود لابد أولاً أن نفسرها لا كصفة داخلية بل كصفة خارجية متعينة علائقيًا وسببيًا ، وتتحدد أهمية الموضوع أو الحالة بزيادة انتشارها واتصالها بحالات أو ظواهر أخرى ، فعندما تسبب الحرارة العالية إذابة كرة الشمع ؛ فإنها تنتج الإحساس بالحرارة أو الإحساس بسخونة الغرفة لدى الناس ، وعندما تنخفض يمكن للشيء أن يتحول إلى الصلابة ثم يكون قابلاً للكسر ، أما إذا ازدادت في الارتفاع يتحول الشيء الصلب إلى حالة الانصهار. كذلك الأمر في الجين الوراثي gene فإنه يُعتبر ميكانزما مسئولاً عليًا عن الخصائص الوراثية التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء في الكائن العضوي البيولوجي.

١٧ – ظهر موضوع الرد في عدة نظريات سابقة ومعاصرة لنظرية الاعتماد:

وضع أرنست ناجل E. Nagel(٤٨) نموذجًا نظريًا أطلق عليه نموذج الرد المتداخل نظريًا intertheoritic reduction ويقرر فيه أن الرد يُعد بمثابة إجراء

---

(٤٧) Ibid : p. 178.

(٤٨) إرنست ناجل Ernest Nagl (١٩٠١ – ١٩٨٥) فيلسوف أمريكي بارز في فلسفة العلم والمنطق ، عمل أستاذًا في جامعتي كولومبيا ونيويورك. اهتم بنظرية الرد ورأى أن = هنالك نظريات علمية تستوعب نظريات أخرى وهذا يبدو في علم الفيزياء بوصفه علمًا أساسيًا. أشهر مؤلفاته :

برهانيًا يدخل في التركيب الاشتقاقي للقوانين النظرية المنطقية والرياضية، هذه القوانين النظرية مشتقة من قوانين أساسية ومشروطة بها وهذا يعني أنها تُرد إليها ، هذه القوانين الأساسية هي قوانين الفيزياء.

وبهذا توصل إلى أن كل صفة تتقوم في الجانب النظري لابد أن ترد إلى صفة أساسية خاصة بها في المجال الفيزيقي. وبناء على هذا تم تطبيق هذه النظرية على العقل والجسد وكانت النتيجة أن يُرد العقل إلى الجسد وأن تكون كل صفة عقلية مشروطة بصفة فيزيقية(٤٩).

ظهرت نظرية تجابه نظرية الرد أُطلق عليها نظرية ضد الرد Antireductionist وتقرر أن الصفات العقلية تفشل في الحصول على انتشار على نفس مستوى الصفات الفيزيقية. تطورت النظرية وصارت تعرف باسم نظرية اللارد non-reductionism وكانت هذه النظرية آذانًا بظهور نظرية جديدة هي نظرية الانبثاق(٥٠) emergentism والتي رأت أنه لا توجد ضرورة لرد الصفات الناتجة إذ يكفي أن نقول إن الألم ينبثق وفقًا لشروط حالة فسيولوجية معينة. كذلك نحصل على «الحكة الجلدية» بوصفها منبثقة عن لدغة بعوضة. وبناء على هذا يتحدد هدف نظرية الانبثاق بالاتجاه نحو العالم المادي الذي تحكمه القوانين الطبيعية كما تتوجه أيضًا إلى الإنسان الذي تفسره علوم البيولوجيا والفسيولوجيا وعلم التشريح وعلم الوراثة ، كذلك يظهر الانبثاق في المخ بوصفه عضوًا ماديًا تخصه علوم الأعصاب والفسيولوجيا والبيولوجيا بالدراسة ولكن تنبثق عنه حالات عقلية ذوات خصائص مختلفة عن طبيعة الكيان المادي ، كذلك تنبثق عن المخ حالات الوعي ، وهذا الانبثاق يؤكد على العلاقة القائمة بين العقل والجسد(٥١).

١٨ – خاتمة الفصل :

قدم كيم تصورًا للعلاقة بين العقل والجسد تتفق مع العلم الفيزيقي ورأى أن ما يتناسب مع نظرية الاعتماد من العلوم هو جانب التحقيق الفيزيقي المعتمد على

− Scientific Method, 1934.

- The Structer of Science, 1961.

(٤٩) Nagel : The Structer of Science, Harcurt , New york , 1961, ch. 11.

(٥٠) سبق الحديث عن هذه النظرية ، انظر فقرة ٧.

(٥١) Ibid : p. 181.

علم الفيزياء والذي يستوعب كافة الصفات والحالات سواء كانت عقلية أم فيزيقية أو كانت أساسية أو منبثقة حيث تتحدد الصفات الأساسية بوصفها صفات وظيفية تنبثق عنها صفات ذات مستوى ثان أقل أساسية منها ولذلك يعتمد التوظيف على تلك الصفات الأساسية ويستخدمها كأسلوب لبيان التفاعل بين الموجودات ويظهر هذا التفاعل في أنماط السلوك والقوى العلية.

لكن لم تكن نظرية كيم إلا امتدادًا للتوجه المادي الذي ساد معظم النظريات الفلسفية المعاصرة وانعكس ذلك على نظرية العقل والجسد ، وهو نفسه يقرر ذلك في عرضه للنظريات المادية العلمية كالرد والانبثاق والسلوكية والنظرية الوظيفية. بيد أن الأمر لم يخلو من عناصر ميتافيزيقية تمثلت لديه في نظرية العلية واستوثق منها التطبيق على الظواهر الطبيعية كأمثلة لنظام الاعتماد، فالظواهر الفيزيقية تتحقق في ظواهر معتمدة أخرى معتمد عليها ؛ فالحرارة تنشأ بسبب احتكام جسمين. كذلك تنطبق النظرية على الصفات العقلية بوصفها ناشئة عن أسباب مادية فسيولوجية – كيميائية ؛ فالألم ناتج بسبب عامل مادي خارجي كتلف أو جرح في نسيج الجلد. لكن هل كل الحالات العقلية ناشئة عن أسباب فيزيقية ، فمثلاً عملية الإحالة التذكرية المتمثلة في ذكرى تقود إلى أخرى ، أو الإحالة الاستنباطية – فكرة تحيلك إلى فكرة جديدة – هل هذا النمط هو عملية اعتماد على عناصر مادية؟ يُرجع أصحاب التحليل الفسيولوجي السبب إلى النشاط الدائم للخلايا المخية ، لكن نشاط الخلايا المخية ليست سببًا في عملية التذكر وليست سببًا لتتابع الذكريات ، إنها فقط مجرد سند أو مقوم أو بلغة كيم صفات من الضرب الأول تعمل على تنشيط نفسها لتستمر عملية التذكر.

من الواضح أن نظرية الاعتماد برغم وجاهتها إلا أنها تتساوى في رأينا مع سائر النظريات المادية في تفسير مشكلة العلاقة بين العقل والجسد ، فنحن لا نجد فارقًا بينها وبين نظرية الرد ، فالقول إن الحالات العقلية تعتمد على الحالات الفيزيقية يتماثل مع القول «الحالات العقلية تُرد إلى الحالات الفيزيقية»، «الألم يعتمد على خدش في الجلد» و «الألم يرد إلى خدش في الجلد» ، والاثنان يردان إلى نظرية العلية فنقول سبب الألم هو خدش في نسيج الألم.

هنالك أمر آخر وهو نقد منهج كيم وخاصة في رموزه ، فقد استخدم رموزًا في غاية الخصوصية تصل إلى حد الغموض ولم يوضح لنا طبيعة ما يرمز إليه بأمثلة جزئية تنطبق على الوقائع التجريبية التي تمثل أساسًا لنظريته. وترك مهمة التفسير والتوضيح ، فأدى ذلك إلى الحيرة والارتباك في التأويل ، لقد جعل الرمز أو المثال الرمزي مطلقًا ، فكان السؤال الدائم هو عما يتكلم ؟ أو ما هدف فكرته ؟

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المراجع العربية :

١ – د. محمود زيدان : في النفس والجسد ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٧٧.

ثانيًا : المصادر والمراجع الأجنبية :

1 – Brood, C. D. : The Mind and Pits place in the Nature, Kegan Paul , London , 1937.

2 – Davidson , D. : Mental States , an essay in "The Nature of Mind" ed. by D. M. Rosentnal , New York , Oxford University Press, 1991.

3 – Chisholm, Rodrick : Identity Through Possible Worlds, an essay in "Metaphysics", An Anthology, ed. by J. Kim and E. Sosa, Blackwell, U. K. , 1999.

4 – Guttenplan , S. : Possible Worlds, an essay in "A Companion to the Philosophy of Mind" ed. by Samual Guttenplan, Blackwell Publisher, U. K., 2000.

5 – Haugeland , John : Ontological Supervenience, an essay in "The Place of Mind" ed. by Brain Cooney, Wadsworth, U. K. 2000.

6 – Honderch , Ted (ed) : The Oxford Companion to Philosophy , Oxford University Press, Oxford, 1995.

7 – Kim , Jacgwan : Epiphenomenal and Supervenient Causation an essay in "The Nature of Mind" ed. by D. M. Rosenthal , Oxford University Press , Oxford, 1991.

8 – ---------- : Mind and Body Problem , an essay in "The Place of Mind" ed by Brain Cooney , Wadsworth, U. K. 2000.

9 – ---------- : Supervenience and Mind , Cambridge University Press , Cambridge , 1993.

10 – ---------- : Supervenience , an essay in "A Companion to the Philosophy of Mind" ed. by Samuel Guttenplan , Blackwell, U. K. 2000.

11 – ---------- : Supervenience as a Philosophical Concept , an essay in Metaphysics , An Anthology , ed. by J. Kim and E. Sosa , Blackwell, U. K, 2000.

12 – Moore, G. E. : The Conception of Intrensic value, in his "Philosophical Studies" Kegan Paul , London , 1922.

13 – Nagel, E. : The Structure of Science , Harcourt , New York, 1961.

14 – Petrie , Bradford : Global Supervenience and Reduction , an essay in "Philosophy and Phenomenological Research". Vol. 47, No. 1, June, 1987.

15 – Seager, William : Weak Supervenience and Materialisme , an essay in "Philosophy and phenomenological Research , Vol. 48, No. 3 , Septemper 1988.

16 – Wagner , Steven : Supervenience and Recogention and Consaiousness, an essay in "The Mind – Body problems" ed. by Warner R., Blackwell, U. K, 1999.

ثالثًا : مقالات عن النظرية في الموسوعات الأجنبية :

17 – Audi, Robert (ed) : Cambridge Dictionary of Philosophy , Cambridge , U. K, 1997.

18 – Blackburn , Simon : "Supervenience" , an essay in Routledge Encyclopedia of philosophy, ed by Edward Craig , vol. 9 , London , 1998.

19 – Kim, J. and Ernest Sosa (eds) : A Companion to Metaphysics, Blackwell Reference , U. K., 1995.

20 – Mastner , Thomas (ed) : Dictionary of Philosophy , Blackwell, Reference , U. K, 1996.